المجلة الغمارية

المعرفة رأس الحكمة



العدد 17

ذو الحجة 1432

مجلة دورية تصدر عن واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم - فلسطين

المحتويات

من وحي القرآن الكريم

بدع التفاسير (الجزء الأول)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين، أما بعد،،،

فإن علم التفسير كغيره من العلوم الشرعية قد أدخل فيه المغرضون ما ليس منه من المخالفات والشوائب التي يجب اجتنابها في فهم كتاب الله سبحانه وتعالى، لسموِّ ألفاظه وتتره معانيه عن أن تكون منها، كما أن فيها مخالفة صريحة لأصول التشريع التي قررها محكم الكتاب والسنة وأجمع عليه أهل الحل والعقد من الأئمة رحمهم الله تعالى.

ولعلَّ من أهم من تصدَّى للتأليف في هذا الباب فضيلة الشيخ العلامة المجتهد، مولانا الإمام عبد الله بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله تعالى[1] في كتابه (بدع التفاسير)، والناظر في هذا المؤلَّف العجيب يدرك بُعدَ نظر هذا العالم الرباني، وعمق معرفته في شتى علوم المقاصد والوسائل، مما جعله يلحق بركب السلف الأوائل، فهمًا واستدلالاً، حتى إنه فاق الكثير منهم رحمهم الله تعالى وجزاهم عنَّا خير الجزاء.

قال رحمه الله تعالى في مقدمة كتابه: "هذا مؤلَّف عجيب، ليس له في بابه ضريب، تضمن التنبيه على بعض التفاسير المخطئة، وقد تكون أحيانًا خاطئة[2]، يجب اجتنابها في فهم كلام الله تعالى، والبعد به عن أن تكون من جملة معانيه، لنبو لفظه عنها، أو مخالفتها لما تقتضيه القواعد المأخوذة من الكتاب والسنة، أو نحو ذلك، وسمَّيته (بدع التفاسير)، وهي عبارة الزمخشري في (كشَّافه)، يقولها

---

(1) وُلد رحمه الله تعالى عام 1328 هجري الموافق 1910 رومي بثغر طنجة، ونشأ في رعاية والده رحمهما الله تعالى، فتعلم على يديه مبادئ العلوم الشرعية وبه تأسس واستأنس، فحفظ القرآن ثم شرع في حفظ المتون وتلقي العلوم، وسافر إلى فاس بأمر والده لطلب العلم في جامعة القرويين، كما سافر إلى مصر والتحق بالأزهر الشريف، وقد كان رحمه الله تعالى عالـــمـــًا متضلعًا متقنًا دون أن يُظهر ذلك تواضعًا للعلم وأهله وطاعةً لوالده، تلقى رحمه الله تعالى العلم على أكثر من مائتي عالم فاضل، نذكر منهم: والده علامة المغرب السيد محمد بن الصديق، وأخاه الحافظ العلامة أبا الفيض أحمد، والمحدِّث عبد الحي الكتاني، وشيخ جامع الزيتونة محمد الطاهر بن عاشور، وشيخ الإسلام محمد بخيت المطيعي الحنفي، ومسند العصر الشيخ أحمد بن رافع الطهطاوي، ووكيل المشيخة في الخلافة العثمانية الشيخ محمد زاهد الكوثري، والشيخ المحدِّث عمر حمدان المحرسي، والشيخ محمد راغب بن محمود الطبَّاخ الحلبي الحنفي، ألَّف رحمه الله تعالى مصنفات في شتى العلوم الشرعية، تدل على سعة اطلاعه وعمق فهمه للمسائل، ومما انفرد به: بِدَع التفاسير، وذوق الحلاوة ببيان امتناع نسخ التلاوة، والفوائد المقصودة ببيان الأحاديث الشاذة المردودة، توفي رحمه الله تعالى عام 1413 هجري الموافق 1993 رومي بطنجة ودفن فيها قرب والده.

(2) أي آثمة، والمراد أصحابها، أي أنهم آثمون، قال تعالى: [إنَّ فرعَونَ وهامَانَ وجنودَهُما كانُوا خَاطِئين]، وفي الحديث: p لا يحتَكِرُ إلا خَاطِئ i ، وأغلب كُتَّاب مصر وأدبائها يستعملون لفظ "خاطئ" بمعنى "مخطئ" فيقولون: أفكار خاطئة يقصدون مخطئة، وهذا من جملة الأغلاط التي زلَّ بها لسانهم ومرن عليها قلمهم.

حين يحكي بعض تلك التفاسير، وإن كان هو نفسه قد وقع في بعضها بسبب عقيدته الاعتزالية التي كان صلبًا فيها، متمسكًا بها إلى حدِّ التعصب والاعتساف، جريئًا في القول بمقتضاها، حتى صدرت عنه عبارات غير لائقة[1]، أو بسبب غلطه في الإعراب، أو مخالفته لسبب الترول، ولم أقصد بهذا المؤلَّف استيعاب التفاسير المخطئة والخاطئة، فإن ذلك غير متيسر لي الآن، وإنما قصدت ذكر مُثُل تكون نموذجًا لما لم يذكر، وعنوانًا عليه، ويمكن أن أحيل القارئ على نوعين من كتب التفسير:

أحدهما: تفاسير المعتزلة، كتفسير أبي مسلم محمد بن بحر الأصفهاني، وتفسير أبي الحسن علي بن عيسى الرماني، وتفسير أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي، وغيرها من التفاسير التي تكثر فيها البدع، لسببين:

الأول: أن أصحابها جرآء على القول في التفسير بالرأي، لا تردعهم هيبة القرآن، ولا خشية منزِّله، وإذا عورضوا بحديث صرَّح في آية بخلاف ما فسروه بها سارعوا إلى الطعن فيه وإنكار صحته، كحديث صهيب في صحيح مسلم عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: [للذِينَ أحسَنُوا الحُسنَى وزيَادَة] أن الزيادة: "النظر إلى الله تعالى"، فقد طعنوا فيه، ونسبوه إلى المشبهة والمجبرة[2] يعنون أهل السنة؛ لأنه خالف تفسيرهم الزيادة: "بالتفضُّل الزائد على الثواب"، مع أن النظر تفضُّل، بل هو أعلى أنواعه، فكم من حديث متفق على صحته أو مستفيض أو متواتر كان نصيبه عندهم الرفض المطلق لمجيئه بخلاف ما رأوه وقرَّروه.

والثاني: أنهم جعلوا قواعد مذهبهم وأهوائهم في العدل وخلق القرآن، وخلق المكلف أفعاله، ونفي الكلام النفسي، ونفي تعلق المشيئة الإلهية بالمعاصي والمباحات واستحالة رؤية الله تعالى، وخلود العاصي في النار مثل الكافر، أصولاً مسلَّمةً أوَّلوا لها ظواهر الآيات، وخصصوا بها عمومات القرآن وقيَّدوا مطلقه، وبالجملة جعلوا قواعدهم حاكمة على آي القرآن الكريم بحيث لا تفيد إلا مذهبهم فيها، وتفسير (الكشَّاف) شاهد صدقٍ على ما نقول.

(1) وسماه العلامة الفقيه أحمد بن حجر الهيثمي في مبحث التكذيب بالقدر من (الزواجر): "حامل راية المعتزلة إلى النار"، وما يقال عن توبته من الاعتزال ورجوعه عنه غير صحيح.
(2) المُجْبِرة: بضم الميم وسكون الجيم وكسر الباء نسبة إلى القول بالجبر، وهذا الاسم يطلقه المعتزلة على أهل السنة.

ثانيهما: تفاسير بعض المعاصرين، وهي:

1. المصحف المفسَّر، لمحمد فريد وجدي.
2. أوضح التفاسير، لمحمد عبد اللطيف الخطيب.
3. تفسير أبي زيد الدمنهوري.
4. تيسير القرآن الكريم للقراءة والفهم المستقيم، لعبد الجليل عيسى.

فإن فيها كثيرًا من بدع التفاسير، وأكثرها بدعًا، وأشدها وقاحة: الثاني والثالث، ولا يقل عنها ما كتبه محمود شلتوت في (التفسير)، وعبد الوهاب النجار في (قصص الأنبياء)، ولقد بلغ من جراءة الأخير في بدعته أنه يذكر الحديث عازيًا له إلى الصحيحين أو أحدهما، ويكون مخالفًا لرأيه فيعلِّق عليه بالردّ، وقد يصحب ردَّه بالطنز والسخرية، ولاحظت على عبد الجليل عيسى في تفسيره أنه إذا كان في الآية رأيان يختار منها الذي لا يكون فيه فضل لسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتنويه عنه"ا.هـــ، ثم ساق رحمه الله تعالى الأمثلة ودلَّل على ذلك من كتبهم، ولعلنا في الأعداد القادمة نشرع في مقصود الكتاب، وبدايةُ الأمر بيان مسائل مهمة افتتح بها مولانا رحمه الله تعالى الكتاب وأبوابَه.

جزاه الله تعالى عنَّا خير ما يجازى عالِم عن أمَّته، وأب كريمٌ فاضلٌ عن بنِيه، اللهم آمين.

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

في رحاب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم

ما قبل بعثته الشريفة صلى الله عليه وآله وسلم

عيشه صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة:

نشأ سيدنا ومولانا الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم يتيمًا فقيرًا، فكان خير من رحم، وأجمل من صبر، ثم لما بلغت حضرته الشريفة مبلغًا يمكِّنه العمل صار يرعى الغنم مع إخوته من الرضاع في البادية، ثم لأهل مكة على قراريط كان يدفعونها لقاء تلك الرعاية، ولما شبَّ سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصبح يعمل بالتجارة، وكان حقًّا خير من باع واشترى، وكان له شريك هو السائب بن أبي السائب، ولقد ذهب سيدنا ومولانا صلى الله عليه وآله وسلم بتجارة لأمنا خديجة إلى الشام مرات عديدة، فعهدت صدقه ووفاءه الكريمين، وشرفت بحبه وزواجه، ثم كان لها من الكرامة بحضرته ما كان.

سيرته صلى الله عليه وآله وسلم في قومه قبل البعثة:

كان سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحسن قومه خَلقًا وخُلقًا، أصدقهم حديثًا وأعظمهم أمانة وأبعدَهم عن الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال، فهو حقًّا أفضلُ قومه مروءة وأكرمهم مخالطة، وخيرهم جوارًا وأعظمهم حِلمًا، صار يسمى بينهم الصادق الأمين لما علموا فيه من كمال المحامد، وكريم الخصال، حتى شهد له بذلك ألدُّ أعدائه النضر بن الحارث من بني عبد الدار حيث قال: "قد كان محمد فيكم غلامًا حَدَثًا، أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثًا وأعظمكم أمانةً، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشَّيب وجاءكم بما جاءكم قلتم: ساحر، لا والله ما هو بساحر"، قال ذلك في معرِض الاتفاق على ما يقولونه للعرب الذين يحضرون الموسم حتى يكونوا متفقين على قول مقبول يقولونه في حضرته الشريفة صلى الله عليه وآله وسلم، ولما سأل هِرَقل ملك الروم أبا سفيان قائلاً: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا، فقال هرقل: "ما كان ليدعَ الكذب على الناس ويكذبَ على الله".

وقد حفظ مولانا الكريم سبحانه وتعالى حضرته الشريفة صلى الله عليه وآله وسلم في صغره من كل أعمال الجاهلية التي جاء شرعه الشريف بضدِّها، فبُغِّضَتْ إليه الأوثان وكل أعمال الجاهلية، بل

وأي عمل لا يليق بحضرته الشريفة ولو كان مباحًا، فهو المحفوظ من الوقوع في النقائص ولو صغيرها قبل النبوة وبعدها، طهره الله وأعطاه، كمَّله بكريم الخلق وحلاه، فما في الخلق مثله أدبًا وورعًا وكمالاً، صلى الله عليه وآله وسلم.

ما أكرمه الله تعالى به قبل النبوّة:

لقد من المولى الكريم سبحانه وتعالى على سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالكثير من العطايا، ففي الولادة الشريفة تظهر الآيات للأم الكريمة الطاهرة آمنة عليها السلام، خفة حمل ولطف ولادة، وأنوار تضيء قصور بصرى وغيرها، ثم ما حصل من البركات على آل السيدة حليمة عليها السلام، فقد كانوا قبل حلوله الشريف صلى الله عليه وآله وسلم مجدبين، فلما صار بينهم صارت غُنَيماهم تؤوب من مرعاها وإن أضراعها لتسيل لبنًا، ويرحم الله الإمام البوصيري حيث يقول في همزيته: "وإذا سخَّر الإله أُناسًا لسعيدٍ فإنَّهم سُعداءُ"، ثم أعقب ذلك ما حصل من شق صدره الشريف صلى الله عليه وآله وسلم وتنويره علمًا وحكمة، ثم إن من المكرمات الإلهية تسخير الغمامة له صلى الله عليه وآله وسلم في سفره إلى الشام، حتى كانت تظله في اليوم الصائف لا يشترك معه أحد في القافلة، كما روى ذلك مولانا ميسرة غلام أمنا السيدة خديجة عليها السلام الذي كان مُشاركًا له في سفره، ومن منن الله تعالى على حضرته الشريفة صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يسمعه من السلام عليه من الأحجار والأشجار، فكان في بعض أحواله الكريمة يخرج فيبعد حتى لا يرى بناء، ويفضي إلى الشعاب وبطون الأودية، فلا يمرُّ بحجر ولا شجر إلا سمع: "الصلاة والسلام عليك يا رسول الله"، وكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحدًا، فيعلم صلى الله عليه وآله وسلم أنها الأحجار والأشجار، وقد حدَّث صلى الله عليه وآله وسلم بذلك عن نفسه فقال: p إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ i (رواه مسلم).

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

منبر آل البيت عليهم السلام

من ينابيع حكمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

في بيان صفات المتقين

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْدًا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ فَاسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ وَتَجَلْبَبَ الْخَوْفَ(1)، فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ(2)، وَأَعَدَّ الْقِرَى لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ(3)، فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَعِيدَ، وَهَوَّنَ الشَّدِيدَ(4)، نَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَذَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ(5)، وَارْتَوَى مِنْ عَذْبٍ فُرَاتٍ سُهِّلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ، فَشَرِبَ نَهَلاً(6)، وَسَلَكَ سَبِيلاً جَدَدًا(7).

قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ، وَتَخَلَّى مِنَ الْهُمُومِ إِلاَّ هَمًّا وَاحِدًا انْفَرَدَ بِهِ(8)، فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى، وَصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى، وَمَغَالِيقِ أَبْوَابِ الرَّدَى، قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُ، وَعَرَفَ مَنَارَهُ، وَقَطَعَ غِمَارَهُ(9)، وَاسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى بِأَوْثَقِهَا، وَمِنَ الْحِبَالِ بِأَمْتَنِهَا، فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ.

قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فِي أَرْفَعِ الأُمُورِ مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ، وَتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ(10)، مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ، كَشَّافُ عَشَوَاتٍ(11)، مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ، دَفَّاعُ مُعْضِلاَتٍ، دَلِيلُ فَلَوَاتٍ(12).

---

(1) استشعر: لبس الشعار وهو ما يلي البدن من اللباس، وتجلبب: لبس الجلباب وهو ما يكون فوق جميع الثياب، والحزن: العجز عن الوفاء بالواجب، وهو قلبي لا يظهر له أثر في العمل الظاهر، أما الخوف فيظهر أثره في البعد عمَّا يغضب الله، والمسارعة للعمل فيما يرضيه، وذلك أثره ظاهر.

(2) زهر مصباح الهدى: تلألأ وأضاء.

(3) القِرى: ما يُهيَّأ للضيف، وهو هنا العمل الصالح يهيئه للقاء الموت وحلول الأجل.

(4) جعل الموت على بعده قريبًا منه فعمل له، ولذلك هان عليه الصبر في اللذائذ الفانية والأخذ بالجد في إحراز الفضائل السامية، وذلك هو الشديد.

(5) ذكر الله فاستكثر من العمل في رضاه.

(6) النهل: أول الشرب، والمراد: أخذ حظًّا لا يحتاج معه إلى العلل، وهو الشرب الثاني.

(7) الجدد: الأرض الغليظة، أي: الصلبة المستوية، ومثلها يسهل السير فيه.

(8) الهم الواحد: هو همُّ الوقوف عند حدود الشريعة.

(9) الغمار: جمع غَمْر بالفتح، وهو معظم البحر، والمراد: أنه عبر بحار المهالك إلى سواحل النجاة.

(10) لأن من كان همه التزام حدود الله في أوامره ونواهيه نفذت بصيرته وأوقف الأمور كلاًّ عند حد شرع الله تعالى.

(11) عشوات: جمع عشاوة، وهي سوء البصر أو العمى، والمعنى: أنه يكشف عن التائهين الضالين غمة تيههم وضلالهم ويأخذ بيدهم إلى شاطئ النجاة.

(12) الفلوات: جمع فلاة، وهي الصحراء الواسعة، والمراد: أنه دليل الناس في دنيا المهالك إلى طريق الخير والثبات.

يَقُولُ فَيُفْهِمُ، وَيَسْكُتُ فَيَسْلَمُ، قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فَاسْتَخْلَصَهُ، فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ، وَأَوْتَادِ أَرْضِهِ، قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ، فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ، يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ، لاَ يَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلاَّ أَمَّهَا[1]، وَلاَ مَظِنَّةً[2] إِلاَّ قَصَدَهَا، قَدْ أَمْكَنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ[3]، فَهُوَ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ[4]، وَيَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ.

اللهم أعد علينا من بركات أمير المؤمنين عليه السلام، وأكرمنا بلطيف كرامته في كل حين وفي كل آن، وألحقنا بحضرته الشريفة وأنلنا منه القرب والأمان، اللهم آمين يا رب العالمين.

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

(1) أمَّها: قصدها.

(2) أي موضع ظن لوجود الفائدة.

(3) الكتاب: القرآن الكريم، وأَمْكَنَهُ من زمامه: تمثيل لانقياده إلى أحكامه.

(4) ثقل المسافر: متاعه وحشمه، وثقل الكتاب: ما يحمل من أوامرٍ ونواهٍ.

من عظماء الإسلام

أم المؤمنين

السيدة مارية القبطية عليها السلام

اسمها عليها السلام:

هي السيدة الطاهرة الزكية مارية بنت شمعون القبطية عليها السلام، مولاة سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهي عليها السلام مصرية الأصل، ولدت في قرية حفن على شرق النيل في صعيد مصر، وقضت فيها طفولتها، فلمَّا شبت انتقلت مع أختها سيرين إلى قصر المقوقس بالإسكندرية.

زواجها ومناقبها عليها السلام:

في سنة سبع من الهجرة بعث المقوقس صاحب الإسكندرية إلى سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسيدة مارية عليها السلام وبأختها سيرين وألف مثقال ذهبًا، وعشرين ثوبًا لينًا، وبغلته الدُّلدل وحماره عُفير - ويقال يعفور-، ومعهم مملوك يقال له: مأبور، ويقال له أيضًا مانوا، شيخٌ كبير، كان أخ السيدة مارية عليها السلام، وبعث بذلك كله مع سيدنا حاطب بن أبي بلتعة رضي الله تعالى عنه، فعرض سيدنا حاطب على أمنا السيدة مارية الإسلام وكانت قبله مؤمنة، فأسلمت، وأسلمت أختها، وأقام المملوك على دينه حتى أسلم بالمدينة بعدُ في عهد سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

كان سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محبًّا للسيدة مارية عليها السلام، متلطفًا متحنِّنًا عليها كعادته صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أنزلها صلى الله عليه وآله وسلم في العالية التي يقال لها اليوم: "مشربة أم إبراهيم" عليها السلام، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يختلف إليها هنالك ويطؤها بملك اليمين، فلمَّا حملت وضعت هناك، فقبلتها(1) سلمى مولاة سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فجاء رافع زوج سلمى فبشَّر سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله

(1) أي كانت قابلتها المشرفة على ولادتها.

وسلم بسيدنا إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه، وبعد الولادة قال مولانا صلى الله عليه وآله وسلم: p أعتقَها ولدُهَا i ، وكان ذلك سنة ثمان للهجرة.

وإن من مناقب أمنا الكريمة عليها السلام أنها كانت من أجمل النساء وأكثرهن حسنًا، روى ابن سعد في (الطبقات) عن السيدة عائشة أم المؤمنين عليها وعلى أبيها السلام قالت: "ما غِرتُ على امرأة إلا دون ما غرت على مارية، وذلك أنها كانت جميلة من النساء، دَعجَة"، ومن كرامتها عليها السلام أن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصى بها وبأهلها، فكما روى ابن سعد في (الطبقات) كذلك عن سيدنا أبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: قال سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: p استوصوا بالقبط خيرًا، فإن لهم ذمَّة ورحمًا i ، قال سيدنا أبيّ: "ورحِمُهُم أن أم إسماعيل بن إبراهيم منهم، وأم إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم".

وفاتها عليها السلام:

لم تبق السيدة مارية بعد فراق سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طويلاً، فقد توفيت عليها السلام في خلافة سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه في المحرم سنة ست عشرة من الهجرة، ورُئي رضي الله تعالى عنه يحشر الناس لشهودها، وصلّى عليها، وقبرها بالبقيع، رحمها الله تعالى رحمة واسعة وألحقنا بحضرتها الكريمة في الدنيا والآخرة، اللهم آمين يا رب العالمين.

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

فتاوى وأحكام

فضل عاشوراء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، ورحمة الله تعالى للعالمين، سيدنا ومولانا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين، وبعد،،،

فاعلم أنه ما من موسم إلا وفيه لله تعالى لطيفة يصيب بها من يشاء بفضله ورحمته، وإن السعيد من وفقه الله تعالى فيها لحسن طاعته وأكرمه بجميل قربته، يقول سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: p إنَّ لله في أيَّام الدَّهر نفحاتٍ فتعرَّضوا لها، فلعَلَّ أحدَكُم تصيبُه نفحةٌ فلا يشقَى بعدَها أبدًا i (رواه الطبراني).

وإن من هذه المواسم المباركة التي نتعرض لها هذه الأيام، يوم عاشوراء، وهو يوم كريم ذو فضيلة وحرمة عظيمتين، فيه كانت نجاة سيدنا نوح وسيدنا موسى عليهما الصلاة والسلام، وفيه وقعت أحداث جسام وأكرمنا المولى تعالى بمنن عظام.

ومما يشرع في هذا اليوم الفضيل من الطاعات طاعة الصيام، فإن صومه سنة مؤكدة عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ففي الحديث عند الإمام مسلم عن أبي قتادة أن رجلاً سأل سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن صيام عاشوراء فقال: p أحتسِبُ على اللهِ أن يُكَفِّرَ السَّنَةَ التي قبلَه i ، وعند الإمام أحمد والنسائي وأبي داود من حديث السيدة حفصة بنت عمر أم المؤمنين عليها وعلى أبيها السلام: p أنَّ سيدَنا ومولانا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكُن يدعُ صيامَ يوم عاشوراء والعشر - أي من ذي الحجة- وثلاثةَ أيام من كلِّ شهر i ، وقد كان لسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صوم عاشوراء أربع حالات، ذكرها الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى في كتابه (اللطائف) وهي:

الأولى: أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يصومه بمكة ولا يأمر الناس بالصوم، ففي الصحيحين عن السيدة عائشة عليها وعلى أبيها السلام قالت: "كان عاشوراء يومًا تصومه قريش في الجاهلية، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصومه، فلما قَدِم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلمَّا نزلت فريضة

شهر رمضان كان رمضان هو الذي يصومه فترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه ومن شاء أفطره"، وفي رواية للبخاري: "وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: p من شَاءَ فليصُمْه ومن شاءَ أفطَر i .

الثانية: أنه صلى الله عليه وآله وسلم لَمَّا قَدِمَ المدينة ورأى صيام أهل الكتاب وتعظيمهم له صامه وأمر الناس بصيامه، وأكد الأمر بصيامه والحث عليه، ففي الصحيحين عن سيدنا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: "قَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة فوجد اليهود صيامًا يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: p مَا هَذَا اليومُ الذِي تصُومونَه i ، قالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرًا، فنحن نصومه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: p فنحنُ أحقُّ وأولى بموسَى منكُم i ، فصامه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمر بصيامه"، وفي مسند الإمام أحمد عن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: "مرَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأناس من اليهود قد صاموا عاشوراء، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: p مَا هَذَا من الصَّوم i ، قالوا: هذا اليوم الذي نجَّى الله عزَّ وجلَّ موسى عليه السلام وبني إسرائيل من الغرق، وغرق فيه فرعون، وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجوديّ، فصامه نوح وموسى عليهما السلام شكرًا لله عزَّ وجلَّ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: p أنا أحقُّ بموسَى وأحقُّ بصوم هذا اليوم i ، فأمر أصحابه بالصوم"، وفي الباب أحاديث كثيرة جدًّا.

وقد اختلف العلماء رضوان الله تعالى عليهم في صوم عاشوراء، هل كان مفروضًا قبل فرض رمضان أم كان سنة متأكدة، والحقُّ أن صومه كان واجبًا، وهو ما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله ورضي الله عنه وأرضاه، وخالفه فيه آخرون.

الثالثة: أنه لَمَّا فرض صيام شهر رمضان ترك سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بصيام عاشوراء كفرض واجب، وبقي في حقهم سنة متأكدة، وذلك لما سبق من حديث السيدة عائشة عليها وعلى أبيها السلام، ولما في الصحيحين من حديث سيدنا ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: p صَامَ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم عاشوراءَ وأمرَ بصيامه، فلَمَّا فُرضَ رمضانُ تركَ ذلك i ، وفي رواية لمسلم: "أن أهل الجاهلية كانوا يصومون يوم عاشوراءِ، وأن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صامه والمسلمون قبل أن يُفرضَ

رمضان، فلما فُرِضَ رمضانُ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: p إنَّ عاشوراءَ يومٌ من أَيَّام الله، فمَن شاءَ صامَهُ ومن شاءَ تركَه i .

الرابعة: أن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عزم في آخر حياته الشريفة على أن لا يصومه منفردًا، بل يضم إليه يومًا آخر مخالفة لأهل الكتاب في صيامه، ففي صحيح مسلم عن سيدنا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: "حين صام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عاشوراء وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله، إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: p فَإذا كانَ العامُ المقبلُ إن شاء الله صُمنَا اليومَ التَّاسع i ، قال: فلم يأت العام المقبل حتى تُوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي رواية له أيضًا عن سيدنا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: p لَئن بقِيتُ إلى قَابلٍ لأَصُومَنَّ التاسعَ معَ العَاشر i يعني عاشوراء، وخرَّجه الطبراني ولفظه: p إن عِشتُ إلى قابلٍ صُمْتُ التاسع مخافةَ أن يفوتَني عاشوراء i ، وعند الإمام أحمد عن سيدنا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: p صُومُوا يوم عاشوراء وخالِفُوا اليهود، صومُوا قبلَه يومًا وبعدَه يومًا i ، وجاء في رواية p أو بعدَه i ، وروي هذا الحديث بلفظ آخر وهو p لئن بقِيتُ لآمُرَنَّ بصيام يوم قبلَه ويوم بعدَه i ، وروى ابن أبي ذئب عن شعبة مولى سيدنا ابن عباس عن سيدنا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: "أنه كان يصوم عاشوراء في السَّفر ويوالي بين اليومين خشية فواته"، وكذلك روي عن أبي إسحاق: "أنه صام يوم عاشوراء ويومًا قبله ويومًا بعده، وقال: إنما فعلتُ ذلك خشية أن يفوتني"، وروي عن ابن سيرين كذلك: "أنه كان يصوم ثلاثة أيام عند الاختلاف في هلال الشهر احتياطًا".

ولعلَّ من أعجب ما روي في عاشوراء أن الوحوش كانت تصومه والهوام، فقد روي مرفوعًا p أن الصُّرَد - طائر أبيض البطن أخضر الظهر ضخم الرأس والمنقار- أوَّلُ طير صامَ عاشوراء i (خرَّجه الخطيب في تاريخه)، وقد روي ذلك عن سيدنا أبي هريرة وسيدنا فتح بن شخرف رضي الله تعالى عنهما قال: "كنتُ أُفتُّ للنَّمل الخبز كلَّ يوم، فلمَّا كانَ يومُ عاشوراء لم يأكُلوه".

وخلاصة الأمر أن صوم هذا اليوم المبارك له أجر عظيم عند المولى سبحانه وتعالى، وإن صيامه سنة متأكدة عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويستحب لنا صيام يوم قبله وبعده

تحرِّيًا له، ومخالفة لليهود والنصارى، عملاً بمقتضى أمره الشريف صلى الله عليه وآله وسلم، واقتداء بفعل أسيادنا الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ذلك من بعده.

كذلك مما يستحب في هذا اليوم المبارك التوسعة على العيال والأهل في المأكل والمشرب والملبس وغيرها إظهارًا للشكر والفرح بنعمة الله تعالى على المؤمنين في هذا اليوم الذي أنجى الله تعالى فيه سيدنا نوحًا وسيدنا موسى عليهما الصلاة والسلام، وأكرم بفضله فيه بعظيم المنن الحسان، ففي الحديث: **p** مَن أوسَعَ على أهلِهِ يومَ عاشوراءَ أوسَعَ اللهُ عليه سائِرَ السَّنة **i** ، قال الإمام ابن عيينة: "جَرَّبناه منذ خمسين سنة أو ستين سنة فما رأينا إلا خيرًا" اهـ، وما أجمل ما نقله الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في ذلك حيث يقول:

لاَ تَـــنْسَ لاَ يُنسِـــكَ الـــرَّحمنُ عَاشُـــورا   واذكُرهُ لا زِلــتَ في الأخيــارِ مـــذكُورَا
قَـــالَ الرســـولُ صـــلاةُ اللهِ تشـــمُلُه   قَـــولاً وجـــدنَا عليـــه الحـــقَّ والنُّـــورَا
مـــن بـــاتَ في ليـــلِ عاشـــوراءَ ذا سَـعَةٍ   يكُـــن في عيشِـــه في الحـــولِ مَـــحبُورَا
فارغَـــبْ فَـــدَيْتُكَ فيمَـــا فيـــهِ رَغْبَنَـــا   خـــيرُ الـــوَرى كُلِّهِـــمْ حيًّـــا ومقبُـــورَا

وأما اتخاذ هذا اليوم المبارك مأتمًا كما تفعله الرافضة لأجل استشهاد مولانا الإمام الحسين بن علي عليهما السلام فيه فباطل لا أصل له، إذ لم يأمر المولى تعالى ولا سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باتخاذ أيام مصائب أسيادنا الأنبياء وموهم مأتمًا، فكيف بمن كان دونهم.

ينفطر القلب حزنًا على ما حلَّ بمولانا الإمام الحسين وآل بيته عليهم جميعًا السلام في وقعة كربلاء، تلك الوقعة التي اهتزت لها كل أركان الدنيا فزعًا مما حلَّ بأطهر خلق الله تعالى في ذلك الزمان، ولكن إن اجتمعت الفرحة والأحزان، فالحق أن نفعل كما كان يفعل أسيادنا آل البيت عليهم السلام، إن كنا حقًّا من أهل الصدق والعرفان، فلم يكن أحد منهم عليهم السلام يجعل من عاشوراء مأتمًا، بل كان يصومه شكرًا ويوسع على عياله وأحبابه والمسلمين كرمًا، فرحًا بنعمة الله على عباده وعملاً بمقتضى شرع جده صلى الله عليه وآله وسلم، أما حزنه فواجبٌ حقيق، إلا أن إظهاره للناس في يوم شرعت فيه فرحتهم ليس من سمة أهل الكمال، وهم أهل الكمال في كل حين وفي كل آن، وإن ما يروجه البعض من أن الفرحة في عاشوراء فرحة بمقتل مولانا الإمام الحسين عليه السلام ضلال ومروق من الدين، إذ إن من يفرح بمقتل الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام ليس

بمسلم باتفاق، وإن صوم عاشوراء والفرح فيه مشروع قبل طروِّ استشهاده الذي يعدُّ أكبر منغِّص طرأ على المسلمين في هذا اليوم المبارك، كما أنه عليه السلام لم يكن يترك صومه وإظهار الفرحة فيه شكرًا على جميل النعم، حتى إنه قضى شهيدًا كريمًا وهو على تلك الحال صائمًا شاكرًا.

إن محبة أولئك السادة الأطهار عليهم السلام أجلُّ من أن توصف، محبة أوجبها لهم المولى تعالى في القرآن الكريم، وأوصى بها سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل حين، يقول المولى تعالى: [قُل لا أسأَلُكُم عليهِ أجرًا إلا المودَّةَ في القُرَبَى](الشورى: من الآية 23)، قال سيدنا سعيد بن جبير: "قُربى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"، وفي الحديث عند مسلم والترمذي وغيرهما قال صلى الله عليه وآله وسلم: p أذكِّرُكُمُ اللهَ في أهلِ بيتِي i ، وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام: p إنِّي تاركٌ فيكُم مَا إن تمسَّكتُم به لن تضِلُّوا بعدِي: كتابَ اللهِ وعِتْرَتِي أهلَ بيتِي ولَن يتفرَّقَا حتَّى يرِدَا علَيَّ الحوض، فانظُرُوا كيفَ تخلُفُونِي فيهِمَا i (رواه الترمذي وغيره)، والأحاديث في هذا المقام أكثر من أن تحصر، لكنَّ خلط الأمور ببعضها، ودعوى الاعتراض والإنكار على الفرح في هذا اليوم لأجل ما وقع فيه من المصيبة لهو من أعظم الأمور وأشدها خطرًا، فإننا في هذا اليوم المبارك نفرح بنعمة الله تعالى التي أمرنا بإظهار شكرها، والقلب مع ذلك محزون مفطور لما حلَّ من عظيم وأليم المصيبة، إلا أنه لو شرعت إقامة المآتم والأحزان لكان أولى الناس بها سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونحن لم نؤمر بذلك، فليتبصَّر هذا كل عاقل.

وختامًا، نسأل المولى تعالى أن يمُنَّ علينا بالرضا وحسن القبول في الدنيا والآخرة، وأن يجعلنا من أهل محبته، ويُلزِمَنا أهلَ كرامته، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، اللهم ارحم مشايخنا ومن علَّمنا وكلَّ من كان له حقٌّ وفضل علينا، اللهم واجزهم عنا خير ما جازيت عالمًا عن أمته وأبًا كريمًا عن بنيه، اللهم آمين.

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

من أدب الإسلام

الألفة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا المعظم المكرم رسول الله وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين ومن والاه، أما بعد،،،

فإن الله سبحانه وتعالى خلق الناس بتدبيره وجعلهم لبعضهم في احتياج، وهو وحده الخالق المتفرد بالغنى، فكلُّ إنسان محتاج لأخيه في أمور الدين والدنيا، ولعل من أعظم حاجات المرء عند أخيه: الألفة والمحبة بينهما، إذ لولاها لَما استقام ولا صفا حالهما، وإن أجمل معاني المحبة والوئام: الألفة، فإن فيها اجتماع النفوس مع الوفاق والانسجام، وبها يحصل الأنس والراحة والأمان، قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: "لقاء الإخوان جلاء الأحزان"، فالألفة والمحبة لا غنى للإخوان والأحباب عنهما، وإن أي مجتمع يخلو منهما هو مجتمع واه سينهار وإن طال الزمان.

فكلما كنت مرنًا في تعاملك مع إخوتك، مستوعبًا من حولك، مراعيًا مشاعرهم وحاجاتهم، متواضعًا منكسرًا، متفهِّمًا لهم، زادت الألفة بينكم، وصفا لك لطفهم وودُّهم، وإن هذا والله كنز عظيم لا يقوَّم ولا يقدَّر، قال تعالى: [لَو أنفقتَ مَا فِي الأرضِ جَميعًا ما ألَّفتَ بينَ قُلوبِهِم، ولكِنَّ اللهَ ألَّفَ بينَهُم، إنَّهُ عزيزٌ حَكِيم](الأنفال: من الآية 63).

وإن لهذه الألفة مراتب، فليس كل المتآلفين في أحوالهم سواء، ولعل أعلى مراتب الألفة: المؤاخاة بالمودَّة، وهي الحرص على صفاء نفسك ووفائها وإخلاصها لمن تآخي، ولذلك آخى سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه؛ وفي الحديث قال صلى الله عليه وآله وسلم: p المرءُ يكثُرُ بإخوانِهِ المسلمين، ولا خيرَ في صُحبَةِ مَن لا يَرَى لكَ مثلَ الذِي تَرى لَهُ، عَليكَ بإخوانِ الصِّدقِ تَعِشْ في أكنافِهِم، فَإنَّهُم زينةٌ في الرَّخاءِ، وَعُدَّةٌ في البَلاءِ i (أخرجه الحافظ ابن عساكر وغيره).

وإن أسباب مؤاخاة الناس بعضهم متفاوتة، أحدها: أخوة مكتسبة لضرورة، كأن يوجد سبب للتلاقي الذي يكون سببًا في قوة التآلف، إذ في زيادة التواصل ما يؤدي غالبًا إلى التوافق والانسجام،

وهو سبب لترتقي الألفة لرتبة أعلى وهي الانبساط، وهي بدورها سبب للرقي لرتبة أخرى هي المؤانسة، حيث تشعر بالمصافاة والنية الخالصة، عندها ترتقي الألفة لرتبة أعلى وهي المودة، حيث تشعر بالثقة فيمن تآخي، وهذا هو أقل الكمال في أحوال الإخاء، فإذا ظهرت بجانب تلك المراتب الصَّداقة ارتقت الألفة لرتبة أعلى هي المحبة، وباستحسانك لفضائل النفس فيمن تُآخي تتولد رتبة أعلى وهي الإعظام، وإن حصل الاستحسان للصورة والحركات حدثت رتبة أخرى وهي العشق، وسببه الطمع في قرب ذلك المحبوب وأنسه، وهذه الرتبة آخر الرتب المعلومة عند غالب الناس، أما ما جاوزها فلا يدركها إلا من عاشها وأنس بها، وتلك رتب تمتزج فيها النفوس والأرواح وإن تفارقت أجسادها وتباعدت.

إن الألفة أدب عالٍ وكنز غالٍ، وإن فيها معان جليلة ومقامات جميلة، ولعلنا في العدد القادم نستكمل شيئًا من لطيفها إن شاء الله تعالى، نسأل الله العلي العظيم أن يمن علينا بألفة إخواننا، وأن يجعلنا حقًّا من أهل المودة والوفاء، اللهم آمين.

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

قبسات من المجلة الزيتونية

أشد الناس ضررًا على الدين

أعداؤه الذين يعملون ضده وهم ينتسبون إليه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد أشرف المرسلين وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين، وبعد،،،

فإني أريد أن أتحدث اليوم عن نوع من المثبطين الهدَّامين، والذين يعملون للقضاء على الدين وتعطيل تعاليمه ومحو جلاله وتقديسه من النفوس، ولَعمري إن هؤلاء أشدُّ الناس ضررًا وأعظمهم خطرًا، وإن مقاومتهم ليست من الأمور المستحسنة فقط، بل مقاومتهم واجبة على كل أحد ولاسيما على أهل العلم الذين يُعدُّ هذا العمل من أوكد الواجبات بالنسبة إليهم؛ إذ أول شيء يجب على الإنسان أن يدافع عنه هو الدين، وكل واحد من المسلمين مطالب بأن يدافع عن دينه بالوسيلة التي يقدر عليها، وعلى العالِـــم أن يبيِّن للناس ما نُزِّل إليهم، فيدفع عنهم غوائل المفسدين، ويكشف عن ضلالات الملحدين، وعلى العامة أن يعملوا بما بُيِّن لهم، وأن يتجنبوا الوقوع في مهاوي الهلاك التي يريد المفسدون إيقاعهم فيها، والإنسان بنفسه أدرى، ولا تزر وازرة وزر أخرى، لذلك أردت أن أكشف القناع في هذا الفصل للقراء عن فِرَق تعمل لإحباط الدين، حتى يحذروهم ويكونوا منهم على بيِّنة، والله الموفق.

لم ينتقل سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله سلم إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن نزل عليه قول الله سبحانه وتعالى: [الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا](المائدة: من الآية 3)، فكانت هذه الآية نصًّا صريحًا في أنَّ سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله سلم لم يفارق هذه الحياة الدنيا إلا بعد أن كَمُلت الشريعة التي أراد الله أن تكون خاتمةً للشرائع وأن تكون القانون العام الشامل لمصالح الحياة الدنيا والآخرة بعد أن وقع نسخ ما تعلقت إرادة الله بإبطاله، فكانت الشريعة يوم نزول هذه الآية قد وصلت إلى الحد الذي أراد الله أن تبقى عليه من غير أن تحتاج إلى إصلاح أو تغيير، إذ لو كانت محتاجة لذلك لما صحَّ وصفها بالاستكمال، فكل من يقوم

بعمل يريد به تغيير ما جاء عن الشارع بدعوى الإصلاح الديني فهو مكذِّب بما جاء عن الله سبحانه، وهو مشرك مرتاب.

ومن نظر في شريعة الإسلام بنظر الباحث عن الحقيقة الراغب في الوصول إلى محجة الصواب تجلى له أنها شريعة واضحة مبنيَّة على مصالح البشر بالصورة التي اختارها الله لهم، وهو الأعلم بمصالحهم، لا بالصورة التي يختارونها لأنفسهم، إذ الإنسان إذا وكِّل إلى نفسه قد يلتبس عليه ما يضره بما ينفعه، فكان من لطف الله سبحانه وتعالى أن تكفل لعباده بترتيب جميع مصالحهم طبق ما جرى في علمه، حسبما يفصح عن ذلك قوله تعالى: [وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ](البقرة: من الآية 216)، ورغمًا عن ذلك كله فنحن لا نزال نرى أفرادًا يقومون بدعايات لإفساد الدين والعبث به والتشويش على عامة المسلمين بإلقاء بذور الإلحاد والزندقة بينهم، أو بإدخال الشبهات عليهم وصدهم عن ذكر الله بما يثيرون من ضلالات وتوقُّفات في أمور لا داعي للتوقف فيها، مع التستُّر بألوان من الإرشاد وحب الإصلاح وغير ذلك من الكلمات الفارغة، ونحن وإن كُنَّا على يقين من أنَّ عملهم لا يكون مآلُه إلا الإخفاق بعد قوله تعالى: [يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ](الصف: من الآية 8)، فنحن نخشى أن يصيب أذاهم بعض الأنفس الآمنة المطمئنة التي ليس لها من الرسوخ في علم الشريعة ما يكون حائلاً بينها وبين تسرُّب جراثيمهم إليها، وهؤلاء العاملون على إفساد الدين قد اختلفت مشاربهم واشتبهت حالاتهم، ولقد تتبعت آثارهم واستقصيت أنباءهم وأخبارهم فوجدتهم على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: من يتجاهرون بالعبث بالدين وتعاليمه، فتراهم يزدرون بمقررات الشريعة وقواعدها وأحكامها ويتظاهرون بالانتقاد عليها، يعمد الواحد منهم إلى حكم صريح من أحكام القرآن فيطعن فيه ويقول: "هو تشريع منظور فيه إلى زمن خاص كان يتناسب مع وقت نزوله، أما الآن فلا يمكن أن يعمل به"، كأن يقول: "أن مشروعية جعل حظ الذكر ما للأنثيَيْن في الميراث إنما يصلح العمل به عندما كانت الأنثى غير مطالبة بأن تقوم بشيء من تكاليف الحياة، أما الآن ونحن نريد أن يكون لها من التكاليف مثل ما للرجل فينبغي أن نسوِّيَ بينهما في الميراث"، وهذا الصِّنف مشرك بالله ورسوله.

الصنف الثاني: من يتظاهرون بالتَّديُّن والتعصب للدين ولكنهم يضمرون له شرًّا، فإذا أراد الواحد منهم أن يقوم بدعاية ابتدأ دعايته بالانتصار للدين والدفاع عنه، حتى إذا استوثق منك أنك ألنتَ له جانبك واطمأن إليه قلبك أخذ يقول لك: "هذا الحكم لا ينبغي إبقاؤه على ما هو عليه"، أو "لا ينبغي أن نصرِّح به أمام غيرنا من الأمم الراقية حتى لا نكون سخرية عندها"، وهكذا يأخذ في هدم ما لا يوافق هواه من أحكام الإسلام، يعرض عليك مثلاً مسألة الرباء فيقول لك: "أن نظام الحياة الحاضرة متوقِّف على التعامل بالرباء، وعليه فما جاء من النصوص في تحريمه منظور فيه إلى ظروف خاصة كانت تقتضيه أما الآن فلا"، ويرتكب هذا الصِّنف من اللين في دعايته ما يجعل بسطاء الناس يتأثرون بكلامه، وهذا الصِّنف أخطر من الذي قبله؛ لأن النوع الأول بتجاهره بإلحاده نأمن على الناس أن يتبعوه، أما هذا النوع الثاني فبسبب عدم تظاهره بالإلحاد ربما يغترُّ بعض الناس به فيذعنوا لما يقوله، أو يحصل لهم شك على الأقل، وأماراتهم وإن خفيت في أول الأمر لكنَّها تظهر عندما يشرعون في تنفيذ مقاصدهم الخبيثة، فليحذرهم الناس وليتباعدوا عنهم، ولا يقبلوا منهم صرفًا ولا عدلاً.

الصنف الثالث: من يعملون لتعطيل شعائر الدين متظاهرين بمقاومة البدع المحدَثة فيه، فيبدأ الواحد منهم دعايته بمدح الدين و التشبث بتعاليمه، ثم يقول لك: "إن الناس قد زادوا في الدين ما ليس منه، فيجب تطهير الدين من هذه الزيادات"، فتركن نفسك إلى هذا الكلام الحسَن بظاهره، فإذا بحثت عمَّا يدعون إليه وجدتَ دعايتهم كلها تنحصر في التروك، أي في طلب الإقلاع عن كلِّ عمل صالح بدعوى أنه ليس من الدين، وإن كان لا ينافي الدين، وهذا الصِّنف يلتبس بصنف آخر ويعسر التفريق بينهما، وهو صنف المصلحين حقيقةً الذين يريدون مقاومة البدع المنكرة في الدين.

ويظهر أن أمارة الفرق بينهما ليست عسيرة، فأمارة الصِّنف الأول الاعتناء بالسفاسف وإطالة القول فيها، وأمارة الصِّنف الثاني الاعتناء بمقاومة منكرات البدع التي تعود على موضوع الدين بالنقض، فالصِّنف الأول إذا أراد أن يقوم بدعوى الإصلاح بدأ مثلاً بالكلام على السبحة وقال: "إن اتخاذها لا يجوز؛ لأنها لم تكن مستعملةً في الصدر الأول، فهي حرام"، فتقول له: "إن السبحة آلة لعدِّ ما يذكره الإنسان عند ما يتعلَّق غرضه بعَدِّه، وأيُّ ضرر أو منافاة للدين في ذلك"، فيعاندك عناد المستكبر، وهو لا غرض له في الحقيقة إلا تعطيل ذكر الله، والصِّنف الثاني إذا أراد أن يقوم بدعوى الإصلاح بدأ مثلاً بالكلام على ما أُحدث من البدع في أصول العقائد والتكاليف مما أَحدث فيها اختلالاً وصيَّرها تقام غير الوجه الذي قَصدَ إليه الشارع من تكليف الناس بها، كالاعتماد على غير

الله في قضاء الحاجات واعتقاد أن لغيره تأثيرًا في إجرائها، وهكذا تراه إنما يبحث عن البدع المنافية لموضوع الدين فيبذل جهده في مقاومتها، فعلى عامة المسلمين أن يجتهدوا في التفريق بين من يتظاهر بمقاومة البدع وغرضه الهدم، وبين من يقاوم البدع وغرضه إصلاح ما اختل من أحوال المسلمين، هذا عرض مختصر لحالة العاملين على مقاومة الدين الساعين في القضاء عليه، وهو عرض لا يخلو من إجمال دعا إليه المقام، والله المسئول أن يُثبِّت قلوبنا على دينه الصحيح، وأن يقيَنا شر عواقب الزيغ والفتن والإلحاد.

العلامة الفاضل

محمد المختار بن محمود

علماءُ من غزة

الشيخ الشريف

سليم شعشاعة الشافعي الغزي

اسمه ونسبه:

هو الإمام العالم العلامة، صدر الفضلاء، وزين المحافل، الشيخ سليم بن الحاج محمد بن السيد مصطفى نقيب السادة الأشراف بن السيد صالح بن الحاج خليل شعشاعة العَلَمي بن السيد عبد القادر بن السيد علي بن السيد قاسم العلمي المغربي الحسني الشافعي.

مولده ونشأته وطلبه للعلم:

ولد رحمه الله تعالى في غزة هاشم سنة 1260 هجرية، ونشأ وتربى في حجر والده، واشتغل بحفظ القرآن الكريم وتعلم الخط والكتابة، ثم شرع بطلب العلم وتحصيله بمدينة غزة الغراء في جمادى الأولى سنة 1273 هجرية على أكابر علماء عصره وسادة مِصره، فتربى على العلامة مفتي الشافعية الشيخ نجيب النخال الشافعي، وأخذ عنه الطريق الخلوتية البكرية، وأخذ عن الشيخ داوود البكرية، والشيخ راشد المظلوم، والشيخ عبد اللطيف الخزندار، ثم حج الإمام رحمه الله تعالى بيت الله الحرام سنة 1279 هجرية، ورحل إلى الجامع الأزهر لإتمام طلب العلوم سنة 1283 هجرية، فأخذ عن الشيخ محمد الرافعي الحنفي مفتي الحنفية آنذاك، وأخيه الشيخ عمر، وعن شيخ الجامع الأزهر شيخ الإسلام الشيخ محمد الأنبابي الشافعي، والشيخ محمد البجيرمي الشافعي، والشيخ أحمد الرفاعي المالكي وغيرهم، ومكث على ذلك خمس سنين، ثم رجع إلى غزة سنة 1288 هجرية، ولازم الاشتغال بالعلم فجاد وأفاد، وبعد وفاة شيخه الشيخ نجيب النخال رحمه الله تعالى نزل غرفته الكبيرة بالجامع الكبير، وأقام فيها، وتصدر للتدريس الخاص والعام، وانتفع به خلق كثير، وتخرج عليه جم غفير، وعظمت مترلته وذاع صيته.

مناقبه:

كان رحمه الله تعالى مشتهرًا بإتقان علم المواريث، وكتابة الصكوك ونفع الناس، وقد درَّس رحمه الله تعالى كثيرًا من الكتب المعتبرة في التوحيد والفقه والحديث والتفسير والوعظ، واشتغل بمذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله تعالى عنه، وقرأ عليه بعض طلبة العلم (شرح الدر المختار)، و(شرح السنوسية)، و(البخاري)، و(الزواجر)، وغيرها، وكان رحمه الله تعالى شغوفًا بالعلم لا يُرى إلا مُطالعًا أو مدرِّسًا أو محرِّرًا، دائم الاشتغال مغتنمًا للأوقات لا يضيع وقته بلا عمل.

وفي سنة 1304 هجرية تعين رحمه الله تعالى رئيسًا لمجلس المعارف، وبقي بها مدة يسيرة ثم في سنة 1315 هجرية تعين رئيسًا لمجلس الأوقاف المحلية، وأجلته العلماء والوجهاء، وكان عظيمًا وجيهًا كريمًا كاملاً شريفًا عفيفًا ذا سكينة ووقار، وأبهة وجلال، يحافظ على منصب العلم وشرفه، بعيداً عن المزاح الساذج والفضول، متمسكًا بالسنة، عاملاً بطريقة السلف الصالح، لم تعهد عليه مزلَّة ولا منقصة، وله أعمال ومساعٍ طيبة، وهمة عالية ومكارم سامية.

تصانيفه:

ظهر له رحمه الله تعالى العديد من التصانيف الجميلة، منها: (رسالة في جاء زيد) أطال فيها وأبدع ولكثير من الفوائد أودع، ورسالة أسماها: (معدن التحف في طهارة أزرار الصَّدَف) رد فيها على من قال بنجاستها، وقصة مولد شريف وشرح عليها، و(نظم حكم الزمخشري)، ورسالة (الضلالات الأربعون) رد فيها على كل من شذ، وله مجموعة قصائد وأشعار معظمها مدح وتهنئة ورثاء، وغير ذلك.

وفاته:

توفي رحمه الله تعالى أوائل ذي القعدة الحرام سنة 1320 هجرية، وقد ناهز الستين، بعد أن طرأ عليه مرض وهو يكتب بمحله بالجامع الكبير، فحمل إلى بيته ومكث ثلاثة أيام حتى فارق الدنيا، ودفن بتربة الشيخ شعبان، وحزن عليه الناس حزنًا شديدًا لما له من النفع العميم والمكانة العلمية والفائدة الظاهرة في شتى نواحي الحياة، رحم الله الإمام وألحقنا به، وجعلنا من السائرين على دربه المستنيرين بهديه، اللهم آمين.

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

بلادنا فلسطين

سكان فلسطين

إن الهجرة والاستيطان المنظم لليهود في فلسطين تزايد خصوصًا خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر، وإن الاحتلال الصهيوني البغيض يسعى دومًا لزيادة أعداد اليهود داخل فلسطين من خلال تزوير الإحصائيات والادعاء بأنهم أكثرية في فلسطين، وفي الوقت نفسه يسعى وبكل قوة لزرع المستوطنين اليهود المهجَّرين من شتى دول العالم، لكن التاريخ يدحض كل أباطيلهم، ويؤكد أنهم كانوا وما زالوا أقلة على امتداده، ولعلنا في هذا المقام نسرد لمحة تاريخية بسيطة عن تاريخ سكان فلسطين خلال العقود الأخيرة.

قدر العثمانيون سكان فلسطين في عام 1914 رومي، وهو العام الذي أعلنت فيه الحرب العالمية الأولى، بـــ 689,275 نسمة، 8 % منهم من اليهود، وكان عدد سكان فلسطين حسب التقدير الرسمي في عام 1920 رومي بـــ 673,000 نسمة، منهم 521,000 من المسلمين، و67,000 من اليهود، و78,000 من النصارى، و7000 من المذاهب الأخرى، ثم في الإحصاء الذي أجراه البريطانيون في 22 تشرين الأول (أكتوبر) من عام 1922 رومي بلغ عدد السكان 757,182 نسمة، بينهم على الأكثر 83,794 يهوديًّا أي 11 % من مجموع السكان، والباقي عرب يعودون في أصولهم إلى العناصر العربية التي هاجرت قديمًا من الجزيرة العربية وسكنت في هذه البقعة المقدَّسة من الوطن العربي، وهؤلاء العرب يوزعون كما يلي:

مسلمون: 590,890، نصارى: 73,024، الدروز: 7,028، بهائيون: 265، سامريون: 163، آخرون: 2108، والمجموع: 673,388 نسمة.

وفي الإحصاء الذي قامت به حكومة الانتداب الغاشمة في 18 نوفمبر من عام 1931 رومي بلغ عدد السكان 1,035,821 نسمة، بينهم على الأكثر 174,610 من اليهود، أي ما يقارب 16.8 % من مجموع السكان، والباقي عرب يوزعون كما يلي:

مسلمون: 759,712، نصارى: 91,398، دروز: 148، يقطنون في بعض قرى الجليل وجبل الكرمل، بهائيون: 350، معظمهم يقيمون في حيفا وقليلهم في عكا، سمرة: 182 يقطنون نابلس، لا دينيون : 421، المجموع: 861,211 نسمة.

وفي 31 آذار من عام 1947 رومي قدِّر عدد سكان البلاد بنحو 1,977,626 نسمة، بينهم على أكثر تقدير 614,239 يهوديًّا، وهذا يعادل نحو 31 % من مجموع السكان، وفي آخر إحصاء قامت به الحكومة عند نهاية الانتداب بلغ عددهم حوالي 650,000 نسمة، إلا أن معظم هؤلاء اليهود كانوا من المهاجرين الذين دخلوا البلاد بالقوة رغمًا عن سكانها الأصليين، ولذلك فلا يمكن اعتبارهم مواطنين شرعيين بأيِّ حال من الأحوال، هذا وإن هذا العدو الغاصب يسعى حتى الآن في بلادنا الحبيبة فسادًا وطغيانًا بزيادة أعداد اليهود المهجرين ودعم سياسة الاستيطان الغاشمة لزيادة أعدادهم على هذه البقعة الطاهرة، نسأل الله تعالى أن يجعل كيدهم في نحرهم وأن يرد علينا فلسطيننا ردًّا جميلاً، اللهم آمين يا رب العالمين.

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

المصادر والمراجع

- بدع التفاسير لمولانا الإمام الحافظ عبد الله بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله تعالى.
- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للخضري رحمه الله تعالى.
- نهج البلاغة لسيدنا الإمام علي عليه السلام.
- السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين للإمام الطبري رحمه الله تعالى.
- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف للإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى.
- أدب الدين والدنيا للإمام أبي الحسن الماوردي رحمه الله تعالى.
- المجلة الزيتونية.
- إتحاف الأعزة في تاريخ غزة للشيخ المؤرخ عثمان مصطفى الطّباع الغزي رحمه الله تعالى.
- موسوعة بلادنا فلسطين للمؤرخ مصطفى مراد الدباغ رحمه الله تعالى.